دراسات فى الفن

ملامح الأرواح

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— هل سمعت أن شارلس لوتون سيمثل هتلر للسينما ؟

— قرأت ذلك ومن يومها وأنا مشتاق لمشاهدة لوتون فى هتلر

— أظن أنه لم ينجح

— لماذا ؟

— لأن لوتون طويل عريض ، وهتلر ضئيل الجسم

— وأى شىء فى هذا ؟ إن الذى سيمثله لوتون من هتلر نفسه لا بدنه

— ولكن هذه الصورة الحاضرة فى أذهاننا والتى نعرف بها هتلر لا يمكن أن يمحوها لوتون بتمثيله ، وسيذكر الناس عند ما يرونه أنه ممثل يمثل ، بل قد يرى بعض الناس أنه ممثل اغتصب دوراً ليس هو أهلاً له

— هذا يخيل إليك . وقد يكون الذى تقولين حقاً إذا كان الممثل ضعيفاً ... ولكن هذا لوتون . ألم تريه فى هنرى الثامن ؟ لقد كان هو هنرى الثامن

— لأنه يشبه هنرى الثامن كثيراً فى جسمه ، وعلى الخصوص فى وجهه ...

— صحيح ! فكيف رأيت هارى بور فى بتهوفن ؟ هارى بور طويل عريض هو أيضاً وكان بتهوفن ضئيل الجسم مثل هتلر ، ومع هذا فلا أظن أحداً من النظارة أحس شيئاً من الكذب فى بتهوفن الذى أخرجه هارى بور ... اللهم إلا أولئك الذين يذهبون إلى السينما ليمرضوا على الناس أجسامهم وأزياءهم ...

— قد يكون التوفيق أتيح لهارى بور فى بتهوفن ، لأن هارى بور ممثل وبتهوفن موسيقى ، وليس عسيراً على الفنان أن يدرك الدخائل فى نفس فنان مثله ، فإذا حاكاه ومثله كان كمن يحاكى نفسه ويمثلها ...

— والله إنها فكرة لم أكن أتوقع أن تجول فى ذهنك ، وإنها لجديرة بالتأمل والدرس ، وإنك لجديرة بالمكافأة عليها ... خذى هذه النكلة ...

— شكراً . سأعلقها على باب البيت تعويذة وحجاباً دون إبليس ...

— بل أعيديها فقد وجدت الرد ... هات ... إن هتلر أيضاً ممثل

— رحت فى داهية ! هل أنت ممن يؤمنون بهذا الذى يدعيه من أنه فنان ؟ !

— ليس هذا قصدى ، وإنما الذى أقصد إليه هو أن الناس جميعاً يمثلون

— آه . هذه فكرة أخرى . ولكن ألا ترين أن فكرتك هذه لو كانت صحيحة لما ارتفع سعر التمثيل فى الدنيا ، ولما كان أجر الممثل المجيد آلاف الريالات ومئات الجنيهات فى الدور الذى لا يستغرق منه إلا الساعات القليلة ...

— الحق معك

— إذن فرأيك غير صحيح ...

— لماذا ؟ أفلا يستطيع الحق أن يكون معك وأن يكون معى فى الوقت نفسه ؟

— يستطيع . قادر على كل شيء ...

— ولا قادر غيره ... والتوفيق بين الذي تقولين وبين الذي أقول يسير . فأما أن كل الناس ممثلون فهذا حق . وأما أن أندر الناس هم الذين يستطيعون أن يمثلوا فهذا حق أيضاً ، فالناس كالأوانى : كل آنية تصلح لأن تمتلئ بما يملؤها ، فإذا امتلأت لم تعد تصلح لأن تمتلئ مرة أخرى ، إلا إذا فرغت . ومن الناس من يملك نفسه يملؤها ويفرغها وهؤلاء هم الممثلون المجيدون ، ومنهم من امتلأت نفسه مرة فاكتظت وجمد حشوها فيها فلم يعد ميسوراً أن تفرغ وأن تملأ . ومن هؤلاء محمد عبد الوهاب فهو يمثل على نفسه وعلى الناس دور الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء وقد « عقد » هـذا الدور فى نفسه فكأنما مثل دوراً ظهر فيه بمظهر هذا الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء مهما تطلب منه هذا الدور الجديد شيئاً من البؤس ، أو شيئاً من الخيبة ، أو شيئاً من اليأس . زيدى على ذلك أن الصورة التى رسمها عبد الوهاب لنفسه فى خياله صورة متكلفة ليس فيها من الحقيقة شيء ، فقد عرف الناس هنا فى مصر مطرباً كان الملوك والأمراء والعظماء يطلبونه حقاً ويسعون إليه ويكرمونه كل التكريم ولم يكن فيه شيء من هذه الأرستقراطية التى يلبسها عبد الوهاب فيتعثر فى أذيالها ، ذلك هو المرحوم عبده الحامولى الذى تؤكد الروايات أنه كان يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق

— وهل لا يأكل عبد الوهاب الطعام ويمشى فى الأسواق ؟

— حاشا لله . وإن أكل فتنازل ، وإن مشى فكما كان يمشى هرون الرشيد

— إنى لا أحب فيك هذا التعصب على عبد الوهاب . وإن الذى تأخذه عليه يمكن أن آخذه على شارلى شابلن نفسه ، فلشارلى أيضاً لوازم تبدو منه فى كل أفلامه : قبعته وعصاه وشارباه ومشيته وحذاؤه وتلعيب فمه ومسحه الحذاء فى البنطلون وهزة كتفيه .

— صحيح صحيح ... ولكنك نسيت أن شارلى يمثل فى كل أفلامه شخصاً واحداً هو ذلك المتشرد الحائر الذى يطارده المجتمع فى أغلب الأحيان ، ولا يعطف عليه إلا فى أقل الأحيان . وروايات شارلى شابلن كلها يمكن أن توصل وأن تعرض على أنها حوادث حدثت لهذا المتشرد . وعلى هذا الأساس فإنه ليس عجيباً أن يلزم هذا المتشرد حركات وسكنات وإشارات خاصة هى هذه التى تقولين عنها

— طيب . ونجيب الريحانى الذى تشهد له بالتفوق . أليست له هو أيضاً لازمة لا تخلو منها رواية من رواياته هى هذه «الملطة» التى يختم بها أكثر جمله وعباراته

— صحيح أيضاً . ولكنك أيضاً نسيت أن هذه (الملطة) هى من آثار كشكش بك فى نجيب الريحانى ، فقد كان نجيب مثل شارلى يمثل شخصاً واحداً هو عمدة كفر البلاص ، وكان هذا العمدة لا ينجو من مأزق حتى يقع فى مأزق ، وكانت الحيرة والدهشة و (اللخمة) تأخذه من أول الرواية إلى آخرها ، وكان يستغيث ، وكان يلوم ، وكان يسترحم ، وكل هذا يستدعى منه هذه (الملطة) فلزمته ولكنه بدأ يتخلص منها فهى لا تعاوده الآن إلا نادراً

— ولم تلجأ إلى هذا التعسف ولا تقول إن لكل ممثل أسلوبه الخاص به

— لأن موضوعنا هذا لا صلة له بأسلوب الممثل . وإنما أسلوب الممثل شيء آخر

— وما هو ؟

— هو الطريقة التى يتذوق بها الممثل الناس ، والتى يعرض بها بعد ذلك هؤلاء الناس

— وكيف يتذوق الممثل الناس ؟

— للأرواح ملامح كما للأجسام ملامح ، ومن الممثلين من يتم النظر فى هذه الملامح حتى يحصرها كلها ، ومنهم من يروعه بعضها فيقف عنده ولا يعود يرى غيره ، أو يرى غيره ولا يهتم به . والممثل بعد أن يشبع من التمعن فى هذه الملامح الروحية يبدأ فيرسمها فى نفسه هو ، ويشكل روحه بشكلها ويكون تمثيله بعد ذلك إبرازاً لها ، وأقدر الممثلين على هذا من لم تكن لروحه هو ملامح قوية ثابتة تستعصى تغطيتها على الماكياج الروحى ، وهؤلاء

الممثلون القادرون هم الذين تكون نفوسهم شديدة الشبه بنفوس الأطفال فهي بريئة سامية تعيش على الفطرة والحق ، ولعلك قد لحظت أن الأطفال أقدر من غيرهم على تقليد الناس وتصوير نفوسهم والمظاهر الواضحة التي تنثرها نفوسهم على أجسامهم.. ولو كان الناس كلهم يعيشون على الفطرة وعلى الحق لكثرت بينهم أوجه الشبه ، بل ربما كانت أشكالهم تتوحد فلا يكون بينها خلاف ، والذي يعزز هذا الرأي هو ما نراه من توحد أشكال الحيوانات التي من فصيلة واحدة — ولا أقول ألوانها — فهذا التوحد لا مرجع له إلا أن الحيوانات تسلك في حياتها المسلك الفطري الحق

— فكأنك تقول إن اختلاف ملامح الوجوه في الناس يرجع إلى اختلاف الملامح في أرواحهم

— هو هذا . وإن كنت لا أنكر آثار البيئة والوراثة وغيرهما

— ومعنى هذا أن الذي يسيطر على حياة الإنسان نفسه وليس بدنه وغريزته الجنسية كما يقول فرويد

— لو كانت الغريزة الجنسية هي التي تسيطر على حياة الإنسان لما اختلفت أشكال الناس ، وإنما الغريزة الجنسية نفسها تخضع للذوق الإنساني والذوق عامل نفسي لا بدني

— ولكنك قلت مرة إن له مرجعاً يرده إلى كهرباء الجسم

— وقلت لك وقتها إني أستعمل كلمة الكهرباء حيث أريد أن أقول « الروح » وإني أختارها لأضمن ارتياحك وارتياح الناس إليها فهي عند أهل هذا العصر أقرب إلى العقل من كلمة الروح ...

— فهل تريدني أن أعرف الروح على أنها كهرباء ؟

— يصح ولكن على أن تكون كهرباء لها إرادة ولها عقل ولها عواطف ولها ذاكرة ولها أمل ولها صلة بالماضي ولها صلة بالمستقبل ولها كل ما للحياة من مميزات تسمو بها على الجمود والموت

— وملامح الأرواح التي تتحدث عنها هي ملامح هذه الكهرباء...

— وإلا ؟ فهناك إنسان قوته ألف شمعة . وهناك إنسان قوته خمس شمعات ، وهناك إنسان كهرباؤه مائة فولت وهناك إنسان كهرباؤه عشرون . وهناك إنسان كهرباؤه مستقاة من دينامو ، وهناك إنسان « ببطارية » ، وهناك إنسان كهرباؤه سواعق ، وهناك إنسان كهرباؤه شرر ... وهناك وهناك ... وكل هذا يحسه الممثل المجيد ويستطيع أن يقلده ...

— فإذا قصرت قوة الكهرباء في الممثل عن قوة الشخص الذي يريد أن يمثله فماذا يصنع ؟

— لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا أراد الممثل أن يقلد طفلاً صغيراً ... وكلما كان أصغر كان تمثيله أصعب

— ومعنى هذا أن في الطفل كمية من الكهرباء أوفر مما في الكبير ...

— لا . وإنما معناه أن درجة وضوح الروح في الطفل أكبر منها في الكبير . فالطفل إذا فرح ظهر عليه الفرح فياضاً جارفاً ، وهو إذا غضب لم يمكنه أن يكتم غضبه وإنما أرسله قوياً عنيفاً وهذا شيء لا يقوى عليه إلا هو أو ممثل فيه من هذا الوضوح ما في نفوس الأطفال . وهذا الوضوح الذي يستوجبه التمثيل ، وهذه البراءة التي تستلزمها المحاكاة هي التي تحول بين النساء وبين النبوغ في هذا الفن ... إلا انفرادت النوادر منهن ...

— ولماذا ؟

— لأن النساء لا يعشن على الفطرة مطلقاً وإنما كل منهن تمثل في حياتها دوراً خاصاً

— بل أدواراً

— لا ... لو أن النساء كن يمثلن أدواراً مختلفة لقلنا إنهن قادرات على التمثيل ، ولكن هذه الأثواب المختلفة التي تبدو عليهن إنما يلبسنها في دور واحد يظللن يمثلنه طول الحياة وهو دور حواء

— وهل سيطلب المسرح منهن أو للسينما أن يمثلن دوراً آخر

— نعم ، والمشكلة هنا أصلها أن الذين يؤلفون الروايات رجال ، والرجل مهما ألم بنفس المرأة ومهما أحاط بها فهو لا يرضى

أو لا يستطيع أن يظهرها فى تآليفه على صورتها الطبيعية ، وإنما يكتب لها عادة صورة أقرب إلى الروحانية من صورتها ، وهذه الروحانية أمر صلة المرأة به صلة بعيدة ولذلك فإنها لا تدركها الإدراك التام ولا تخرجها الإخراج الصحيح

— فهو عيب الرجال الذين لا يطبقون أدبهم على الواقع ...

— إنه العيب الذى ينزعون إليه بأدبهم وفنونهم محاولين به أن ينقذوا الحياة من شر الواقع ...

— ولكن لماذا نقول إن صلة المرأة بالروحانية صلة بعيدة

— لأن المرأة تبدأ فى صناعة التمثيل من سن مبكرة فالتمثيل عونها على الإغراء ، وهو ستارها ، وهو سلاحها . . . وكي أثبت لك ما أقول أسألك كم مرة مثلت النساء فى السينما مريم العذراء وجان دارك مثلاً وكم مرة مثلت النساء فى السينما كليوباترا ؟ إن مريم العذراء لم تمثلها إلى اليوم ممثلة وجان دارك مثلتها ممثلة فرنسية لشركة بانيه منذ خمسة عشر عاماً على ما أذكر...أو أكثر...أما كليوباترا فقد مثلتها ممثلات كثيرات وفى أوقات مختلفة ...

— وعلى أى شىء تستدل بهذا ؟

— أستدل به على أن النساء أقرب إلى كليوباترا منهن إلى جان دارك ومريم العذراء

— ولكن لمريم العذراء قدسية لا تحب شركات السينما أن تمسها

— لقد مثلت شركات السينما المسيح نفسه ...

— طيب .. وجان دارك هذه لم تكن امرأة وإنما كانت رجلاً ...

— إنها التى بذلت نفسها فى سبيل وطنها ... أنا معك لم تكن امرأة

عزيز أحمد فهمى